عدد 13 (2000) 211- 222

أضواء على بعض الظواهر الصوتية في اللهجة الفلسطينية وعلاقتها باللهجات العربية القديمة

ملخص

من الملاحظ أن اللهجة الفلسطينية تحتوي على عدد من الظواهر الصوتية التي لا توجد في اللغة الفصحى. قامت الدراسة بتقديم فرضية فحواها أن هذه الظواهر يمكن ردها إلى اللهجات العربية القديمة. وعليه عملت الدراسة على وصف هذه الظواهر كما هي موزعة في المجتمع الفلسطيني ومن ثم تعقب جذورها التاريخية.

ومن ناحية أخرى أكدت هذه الدراسة على مدى ارتباط اللهجة الفلسطينية باللهجات العربية التي حملتها القبائل العربية مع بداية الفتح الإسلامي واستقرت في فلسطين. وأكدت الدراسة أيضا على أنه من المرجح أن يكون هناك تأثيرا ساميا آراميا في هذه الظواهر بسبب استمرار الأرامية في فلسطين مدة طويلة من الزمن.

د. عبد الله حامد احمد
جامعة أم القرى - مكة
المملكة العربية السعودية

Abstract

It is noticeable that the Palestinian Dialect contains a number of phonetic phenomena that do not exist in standard Arabic. The study presented a thesis, which essentially claims that such phenomena could be related to the old Arabic dialects.

Therefore, the study described these phenomena and their distribution in the Palestinian society and attempted to identify their historical origins.

Furthermore, the study asserted two things, one is the close relationship between this dialect and old Arabic dialects which were carried to Palestinian by the Arab tribes which settled in Palestine at the beginning of the Islamic conquests. The other thing is that it is very likely that the Aramic influence could have played an important role in producing some of the phenomena in the dialect because this language continued in Palestine for many centuries.

تعد اللهجة الفلسطينية إحدى اللهجات العربية الحديثة المنتشرة في الوطن العربي كاللهجة الخليجية والعراقية والمصرية والمغربية وغيرها. غير أنها أحيانا تصنف على أنها لهجة متفرعة عن اللهجات الأم الكبرى وهي السورية أي سوريا الكبرى التي تضم كلا من سوريا ولبنان والأردن وفلسطين فاللهجة السورية (المنسوبة إلى سوريا) واللبنانية والفلسطينية والأردنية (1) تشكل جميعا ما يسمى باللهجة السورية. فهناك صفات مشتركة تجمع هذه اللهجات الفرعية. فالتجاور الجغرافي والتأثيرات التاريخية المشتركة أفرزت نوعا من التشابه بين هذه اللهجات.

توجد في اللهجة الفلسطينية بعض الظواهر الصوتية التي نرجح أن تكون ذات أصول عربية قديمة والتي حسب علمنا لم تطرق من قبل إلا قليلا (2) ولكنها تستحق الدراسة فهذه فرضية الدراسة التي بين أيدينا. أما هدفها فهي ابتداء محاولة مختصرة لتسليط الضوء على هذه الظواهر الصوتية ومحاولة تحليلها ومن ثم ردها إلى أصولها العربية القديمة قدر

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر2000

المستطاع. فهي دراسة لهجية تاريخية تحاول ربط ظواهر صوتية معاصرة بأصولها. أما مصدر المعلومات المعتمدة في هذه الدراسة فهو جله من أفواه العوام الفلسطينيين والذين نرى أنهم حافظوا على نقل المادة
اللغوية جيل عن جيل دون التأثير بالتعليم الذي يؤثر على النطق وكذلك من الباحث نفسه أحيانا الذي عاش في هذا المحيط اللغوي على مدى سنوات طويلة.

1- موطن اللهجة الفلسطينية ومكوناتها

إن المقصود باللهجة الفلسطينية هي تلك اللهجة الموجودة والمستعملة في داخل فلسطين من قبل أهلها المقيمين فيها إلى الآن وكذلك المقمين خارجها من الذين نزحوا عن وطنهم وخاصة الجيل النازح الأول الذي بقي محافظا على هذه اللهجة.

نعني بفلسطين جغرافيا هو ذلك الجزء الواقع بين خطي عرض 30 29 و 15 33 شمالا وخطي طول 15 34 و 40 35 شرق غر ينتش. ويقع تقريبا في وسط الوطن العربي وتبلغ مساحته27009 كم ^{2}. يحد هذا الجزء غربا البحر المتوسط وشرقا نهر الأردن و سوريا وشمالا لبنان وسوريا وجنوبا مصر وخليج العقبة. ويضم قرى وبلدات كثيرة بالإضافة إلى مدن رئيسية مثل القدس ويافا ونابلس وأريحا وعكا وغزة ورام الله والناصرة والخليل وصفد وطولكرم وبيت لحم وجنين (3).

ينقسم المجتمع الفلسطيني إلى ثلاث فئات رئيسية وهم سكان المدن والقرى والبادية أي هناك المدني والقروي والبدوي على أرض فلسطين فاللهجة الفلسطينية تتشكل من كلام القنات الثلاث مجتمعة. على أنه لابد من الإشارة إلى أن كل من هذه الفئات لها ميزاتها اللغوية التي تختلف عن الأخرى نوعا ما وخاصة في مجال الأصوات كما سنبين لاحقا. ولكن يمكن القول بشكل عام أن هذه الفروق ليست كبيرة فهي متقاربة إلى حد كبير وتشكل جميعها ما يعرف باللهجة الفلسطينية.

إن اللهجة الفلسطينية هي لهجة ذات جذور لغوية قديمة متنوعة وليست عربية خالصة. بل إنها تشكلت بتأثير اللغات التي وفدت إلى أرض فلسطين من الغزاة الغير العرب والفاتحين العرب في القرن السابع الذين حملوا لواء الإسلام إلى هذه الديار. فاللهجة تجمع صفات متعددة امتزجت مع بعضها البعض وشكلت اللهجة الفلسطينية. إلا أنه لا بد من التأكيد على أمرين اثنين هما: أولهما أنه على الرغم من التأثيرات الأجنبية فإن اللهجة بقيت عربية التكوين عظما ولحما بشكل عام كباقي اللهجات العربية الأخرى. وثانيها أن تأثير اللغات الأجنبية القديمة على اللهجة الفلسطينية انحصر جله في مجال المفردات وبصورة محدودة في المجال الصوتي.

فالمعروف تاريخيا أن أرض فلسطين قد تعرضت للاحتلال من قبل قبائل سامية واستقرت فيها منذ فجر التاريخ كالكنعانيين والآراميين وغيرهم ثم غزوها اليونانيون والفرس والرومان ثم جاء الفتح الإسلامي والذي تضمن نزوح كثير من القبائل العربية إلى فلسطين والاستقرار فيها. ومن هذه القبائل قبائل سليم وجذام وعاملة ولخم وبنو كلب والأزد وحمير كنانة وقضاعة وكندة وذبيان وبنو عذرة وبنو ضبة وبنو بهراء (4). فالوضع في فلسطين كان يختلف كثيرا عن الوضع في جزيرة العرب مثلا. فأرض

فلسطين لم تعرف الاستقرار على مدى قرون طويلة فما أن ينتهي غزو إلا تبعه غزو آخر وهذا بطبيعة الحال له تأثيراته اللغوية على اللهجة المحلية وخاصة إذا استمر الغزو لفترة طويلة. إلا أنه من الواضح وكما أسلفنا أن تأثير اللغات الأجنبية آنذاك انصب على مجال المفردات.

2 - التأثير الأجنبي القديم في اللهجة الفلسطينية

الاقتراض اللغوي ظاهرة طبيعية في اللغات الإنسانية فلا تكاد توجد لغة واحدة، باستثناء تلك المعزولة في بطن الغابات والصحاري الشاسعة، إلا وتتفاعل مع اللغات التي تجاورها أو تحتك بها وتكون نتيجة هذا التفاعل إما اقتراض عناصر لغوية أو إقراضها وهناك أمثلة حية على هذه الظاهرة في اللغة العربية الحالية وكذلك اللغة الإنجليزية. لقد اقترضت اللهجة الفلسطينية عددا كبيرا من المفردات وأصبحت هذه المفردات عربية اللفظ مع وصول العربية إلى فلسطين في القرن السابع الميلادي. أي أنه كان لهذه المفردات مرادفا لغويا في اللغة العربية وتبنى الفلسطينيون اللفظ العربي. إنه اقتراض صوتي ضمن المجموعة السامية كما هو الحال مع الكلمات الكنعانية على سبيل المثال. أو أن اللهجة الفلسطينية اقترضت كلمات ليس لها أصول في العربية كما هو الحال مع الكلمات ذات الأصل الفارسي. ومن هذه اللغات التي تركت آثارها في اللهجة الفلسطينية هي اللغات الكنعانية والآرامية والمصرية القديمة والفارسية. وفيما يلي أمثلة على هذا الاقتراض اللغوي:

1 - كلمات ذات أصول كنعانية (5):

لاهام/ لحم، صيدون/ صيد، حمور/ حمار، شمش/ شمس.

ومما يجدر ذكره أن اللغة الكنعانية لغة سامية مندثرة انتشرت في فلسطين، حيث استقر الكنعانيون مدة طويلة وبقيت اللغة المحلية إلى أن حلت محلها الآرامية. إننا نتصور أن الوضع اللغوي في فلسطين كان على النحو التالي: لهجة سامية (اللغة الكنعانية) تستقر في فلسطين ثم تتبعها لهجة سامية أخرى (اللغة الآرامية) وتحل محلها ثم تتبعها لهجة سامية أخرى (اللغة العربية) وتحل محلها. نفترض، وهذا الافتراض صحيح إلى حد كبير، أن المفردات المستعملة آنذاك كان لها دلالة واحدة مع تنوع بسيط في الشكل واللفظ وهو ما يسمى Cognates فكان التحول من المفردة إلى الأخرى ليس صعبا.

2 - كلمات ذات أصول آرامية (6):

شكاره، ساطور، شاقوف، بيدر، ختيار، غشيم، لطش، نبز (الزرع)، بور، كفر (قرية)، بطيخ، بلوط، توت، خابية، زنار، يم، وهناك أسماء قرى فلسطينية مثل إذنا، بديا، بيت جبرين، حجة، ذنابة، زيتا. هذا ولقد استمرت الآرامية في فلسطين من القرن السادس قبل الميلاد إلى نهاية القرن الثامن الميلادي إلى أن خلفتها العربية.

3 - كلمات ذات أصول مصرية قديمة (7):

مدمس، حلوم، شوب، إمبو (بمعنى شرب أو ماء)، البرسيم، واوا (بمعنى ألم أو وجع).

4 - كلمات ذات أصول فارسية (8):

البابونج، بخت، البرواز، بيارق، زلابية، السنديان، المونة، الدشمة. وختاما فإنه لابد من التذكير أن بعضا من هذه الكلمات وغيرها كان قد وجد طريقه إلى العربية ربما عبر بوابات عربية أخرى وليس بالضرورة عبر البوابة الفلسطينية.

3 - اللهجات العربية الحديثة

ما هو أصل اللهجات العربية الحديثة؟ هو سؤال يستحق الدراسة والبحث ولقد تناوله الكثيرون من اللغويين عربا وعجما بالتحليل والدراسة. ويمكن تلخيص الفرضيات التي قامت عليها هذه الدراسات على النحو التالي:

1 - أصل اللهجات العربية الحديثة هو اللغة العربية الفصحى أو الكلاسيكية.
2 - أصل اللهجات العربية الحديثة هو لغة عربية مشتركة قديمة عايشت الفصحى وتختلف عنها.
3 - اللهجات العربية الحديثة خليط من الفصحى واللهجات العربية القديمة واللغات المحلية في الأمصار المفتوحة.

أما القول بالفرضية الأولى فهو قول ضعيف ولا يستند إلى حجة قوية بقدر ما يستند إلى رأي شائع بين الناس ومن ضمنهم المثقفين القائلين بأن اللهجات تشعبت عن العربية الفصحى (9) وما هي هذه اللهجات إلا انحرافات عن هذه اللغة وعليه ينظر الناس إليها نظرة دونية بالمقابل إلى العربية الفصحى التي تتمتع بنظرة عالية لأسباب معروفة. وقد قام الباحث داود عبده (10) من خلال دراسة مهمة بتفنيد هذه الفرضية وذلك بعرضه لعدد من الظواهر اللغوية الموجودة في الفصحى والتي تخلو منها اللهجات الحديثة ومن هذه الظواهر: (أ) زوال المثنى في غير الاسم (ب) المجهول (ج) المطابقة بين الفعل والفاعل في اللهجات المحلية المعاصرة. (د) وجود صيغة واحدة فقط لكل من المثنى وجمع المذكر السالم والأسماء الخمسة مقابل عدة صيغ لكل منها في الفصحى.

أما الفرضية الثانية فقام بطرحها تشارلز فيرجسون (11) Charles Ferguson حينما قال ما نصه " إن معظم اللهجات العربية قد انحدرت من اللغة العربية القديمة اللغة العربية المشتركة The Arabic Koine والتي لم تكن مطابقة لأية لهجة من اللهجات وكانت مختلفة اختلافا كبيرا عن اللغة الكلاسيكية ولكنها كانت في الوقت نفسه تستعمل جنبا إلى جنب مع الكلاسيكية خلال القرون الماضية في الحقبة الإسلامية". ولقد أورد فيرجسون نقاشا جادا للتدليل على وجود مثل هذه اللغة المشتركة ويتضمن عددا من الميزات اللغوية ومدى ارتباطها باللهجات وتلك اللغة المشتركة. ولكن في الوقت الذي

نرى فيه وصفا للهجات القبائل أو اللهجات القديمة كالتميمية وغيرها وكذلك للعربية الفصحى أو الكلاسيكية لا نرى مثل هذا الوصف لهذه اللغة المشتركة من قبل علماء اللغة الرواد في هذا المجال السابقون منهم أو اللاحقون أو حتى الإشارة إليها. بل إن مادة مؤلفاتهم تزخر بألفاظ تشير إلى لهجات القبائل تارة وإلى الفصحى تارة أخرى. وفي كتب المتأخرين نجد إشارات إلى لهجة العامة وما شابهها. والملاحظ أن فيرجسون اكتفى بالحديث على البرهنة على وجود مثل هذه اللغة المشتركة قاصدا عدم التعرض إلى مكان وجودها بشكل دقيق أو زمان وجودها على وجه التحديد. لا نستطيع والحالة هذه أن نرفضها رفضا تاما أو نقبلها قبولا تاما فلها مبرراتها ولكنها تحتوي على بعض الضعف من الناحية التاريخية والتفصيلية التزامنية وخاصة إذا أثرنا تساؤلا كالتالي: لو فرضنا جدلا أن هذه اللغة المشتركة كانت موجودة يوما ما في مكان ما فلنا أن نتساءل فأين ذهبت بعد ذلك؟ الفصحى واللهجات بيننا أو حتى التي اندثرت من اللهجات لا تزال بقايا منها. أما تلك اللغة المشتركة فاختفت نهائيا وليس لها آثار في هذا البلد أو ذاك فكيف يصح القول هذا عن لغة مشتركة سادت واستمرت قرون ولم يبق منها شيء يذكر؟

أما الفرضية الثالثة فإنها تبدو الأكثر قبولا فهي ترى أن اللهجات العربية الحديثة هي مزيج من عناصر ثلاث: اللغة الفصحى ولهجات العرب القديمة واللغات المحلية للأمصار المفتوحة مثل الفارسية في العراق والآرامية في سوريا الكبرى والقبطية في مصر. ومن مؤيدي هذه الفرضية بشيء من التباين البسيط كلا من إبراهيم أنيس وداود سلوم (12) فعندما تمت الفتوحات الإسلامية للأمصار المجاورة للجزيرة العربية وغيرها حمل العرب الفاتحين معهم مستويين لغويين من العربية وهما اللغة الفصحى وهي لغة القرآن الكريم والحديث النبوي وكذلك الأدب الجاهلي ولهجات القبائل. فمن المرجح أن هذين المستويين بالإضافة إلى لغات الأمصار عاشت جميعها جنبا إلى جنب وتفاعلت وخاصة على مستوى المفردات وشكلت مزيجا لغويا كانت إحدى نتائجه هذه العاميات (اللهجات) التي نراها اليوم. أنه من الصعب القول أن اللهجات وحدها أو الفصحى وحدها أو اللغة المحلية وحدها شكل اللهجات الحديثة. وعليه فهي لهجات مولدة وهنا لا بد من الحذر والذهاب بعيدا إلى حد الزعم أنها اكتسبت هيكلها اللغوي العام من اللغات المحلية للأمصار بل طغى عليها الهيكل العربي ولهذا خرجت بثوب عربي مطعم ببعض الألفاظ والظواهر الغير عربية فمن الواضح أن نلحظ تأثير اللهجات العربية القديمة في اللهجات الحديثة وهذا ينطبق إلى حد بعيد على اللهجات الفلسطينية.

4 - الظواهر الصوتية في اللهجة الفلسطينية

يلاحظ في اللهجة الفلسطينية وجود عدد من الظواهر الصوتية والتي لا توجد في الفصحى أو حتى في بعض اللهجات العربية فمن المرجح أن يكون أصل هذه اللهجات هو المكونات الثلاث السابقة مجتمعة مع الأخذ بعين الاعتبار أن درجة تأثير كل واحد

منها يتفاوت تبعا لأهميته في الاستعمال اللغوي. سنحاول في هذا الجزء من الدراسة تحديد هذه الظواهر ثم محاولة ردها إلى جذورها العربية القديمة.

1 - عدم تحقيق الهمزة أو تخفيفه:

هذه ظاهرة شائعة في جميع الأوساط الفلسطينية المدنية والقروية والبدوية وتظهر في الكلمات التالية: بير/بئر، فاس/ فأس، نايم/ نائم، وفار/ فأر. فمن الثابت أن هذه الظاهرة تنسب إلى لهجة قريش بالمقارنة إلى لهجة تميم التي كانت تحرص على تحقيق الهمز (13).

2 - الاستنطاء

وهي ظاهرة إبدال صوت العين نونا في مواقع صوتية محددة وهي لا تحدث كثيرا في اللهجة الفلسطينية. تحدث في الأوساط القروية والمدنية أحيانا. فكلمة "أعطى" تنطق "أنطى". أما البدو فيستعملون الكلمة الفصيحة في كلامهم مع بعض التعديل البسيط في شكل الكلمة فيقولون "عطني" بدلا من "أعطني". وترجع هذه الظاهرة في أصلها إلى قبيلة هذيل (14) ولو أن هناك أشكالا في قصرها على هذه القبيلة وفي هذه الكلمة فقط. وقد يكون للقلب أصلا ساميا.

3 - العنعنة

وهي ظاهرة قلب الهمزة عينا في بعض المواضع فكلمة "سؤال" تسمع" سعالا" وهي منتشرة بخاصة في أوساط القرويين العوام. تنسب هذه الظاهرة إلى لهجة تميم فيقولون عنعنة تميم (15).

4 - الكشكشة

وهي ظاهرة قلب صوت الكاف تشأ. بل إن بعض اللغويين يرى تحولها إلى شين مطلقة ولكننا نميل إلى رأي (16) إبراهيم أنيس ورمضان عبد التواب بالقول بالحالة الأولى فتحول الكاف إلى تش أقرب من الناحية اللغوية التاريخية من تحولها إلى شين وخاصة إذا تفحصنا بعض اللغات الهندية الأوروبية وتتبعنا مثل هذه الظاهرة. تحدث هذه الحالة في الكلمات التالية ومثيلاتها: بشتير/ بشكير، بشترة/ بكره، طولتشرم/ طولكرم (اسم مدينة)، ورتشب/ ركب، تنتشر هذه الظاهرة في الأوساط القروية بشكل خاص وهم يعابون عليها كثيرا من قبل غيرهم. تنسب هذه الظاهرة إلى لهجة ربيعة (17) وتنسب إلى لهجات أخرى.

5 - التلتلة

وهي ظاهرة كسر صوت المضارعة ابتداء وخاصة التاء وهي منتشرة في الأوساط القروية والمدنية أما البدو فإنهم يقتربون من الفصحى عند نطق الكلمات التالية: يطبخ، يسمع، تغسل، يحرث، يذبح، ترجع. وتنسب هذه الظاهرة إلى قبيلة بهراء (18).

6 - صوتي الضاد والظاء

هذان الصوتان موجودان في اللهجة بشكل عام ولكن توزيعهما يختلف من وسط إلى آخر. الضاد منتشرة في الأوساط المدنية والبدوية، أما الظاء فمحصورة في الأوساط القروية، فالكلمات "أرض، ضحك، ضبع" تسمع فصيحة في الأوساط المذكورة بينما تقلب ظاء في الوسط القروي. أم الظاء فإنها تقلب زايا مفخمة كما في: زالم/ ظالم، زل/ ظل، زاهر/ ظاهر. أما بخصوص أصلهما فالضاد تميمة فيقوقون "فاضت نفسه" أي خرجت تميمية وأما الظاء فهي قرشية أو حجازية (19).

7 - صوت القاف

هذا هو أحد الأصوات القلائل التي تتنوع كثيرا في هذه اللهجة فهو ينطق قافا في الكلمات القرانية مثل "قرآن" في جميع الأوساط. أما غير ذلك فإن هذا الصوت ينطق همزة في الوسط المدني كما في ألب / قلب، مرأه / مرقه، عرأ / عرق. أما في الوسط القروي فهو غالبا ما يتحول إلى كاف كما في كلب / قلب. كريب / قريب. عرك / عرق. أما في الوسط البدوي فإنه ينطق جيما غير معطشة كما هي الجيم القاهرية (g). وهناك ظاهرة قلب هذا الصوت غينا على الأقل في كلمة واحدة في الوسط القروي وهي: قادر / غادر أو يقدر / يغدر. ولقد حاولت في دراسة سابقة (20) إثبات أن القاف العربية التي وصفها علماء اللغة الأوائل مثل سيبويه وابن جني كانت في الواقع مجهورة وربما يكون أحد بقاياها هو هذا اللفظ الموجود في بعض مناطق اليمن والعراق وجنوب مصر وهو القريب إلى صوت الغين. فمن المرجح جدا أن تكون القبائل العربية التي استقرت في فلسطين في الحقبات السابقة قد حملت هذا الصوت معها وبقي هذا اللفظ على ألسنة العوام وحفظته اللهجة الفلسطينية كما حفظته غيرها من اللهجات الأخرى. ومن الثابت أن الكاف قرشية والقاف تميمية (21).

8 - صوت الذال

ينطق هذا الصوت فصيحا في الوسط القروي والبدوي ولكنه يقلب دالا أو زايا في المدينة كما في الكلمات التالية: زكي / ذكي، زوء / ذوق، دهب / ذهب، دبح / ذبح. إن النطق بالدال ينسب إلى لهجة ربيعة (22) وهي بدوية، وهناك من يرى نسبته كذلك إلى اللغات السامية التي كانت سائدة في بلاد الشام كالآرامية والأوغاريتية (23).

9 - صوت الثاء

يقلب هذا الصوت تاء في المدينة والبادية بشكل خاص فتسمع تلاتة / ثلاثة، توب / ثوب، أتات/ أثاث. وهي ظاهرة ترجع إلى اللهجة الحجازية وكانت منتشرة في خبير في المدينة بين اليهود الذين تأثروا بالبيئة الحجازية (24). وهناك من ينسبها إلى اللغات الآرامية والأوغاريتية (25). وهذا أمر لا غبار عليه إذا أخذنا بعين الاعتبار مدى تأثير الأرامية بشكل خاص على اللهجة الفلسطينية.

10 - صوت اللام

يقلب هذا الصوت نونا في جميع الأوساط كما في الكلمات التالية: برتقان / برتقال، اسماعين / إسماعيل، سنسله / سلسلة. تنسب هذه الظاهرة إلى قبائل يمنية مثل حمير، وقبائل بني سعد وكلب (26).

11 - صوت الصاد

يتحول هذا الصوت أحيانا إلى زاي كما في الكلمات التالية: لزك، لزأ، لزج / لصق. وهي تحدث في الأوساط الفلسطينية الثلاثة وكذلك كلمة زغير / صغير، وهذه ظاهرة تميمية (27). كما تتحول الصاد إلى سين كما في الاسم "صادق". إلا أن هذا الصوت يبقى مفخما في جل الكلمات في هذه اللهجة وينطق فصيحا.

12 - ظاهرة التفخيم

وهي ظاهرة منتشرة إلى حد كبير في الأوساط الفلسطينية فهناك من الأصوات المرققة التي تتحول إلى مفخمة بالإضافة إلى الأصوات المفخمة أصلا وهي الصاد والطاء والضاد والظاء. فهناك الزاي المفخمة المنقلبة عن الظاء المدنية كما مر سابقا. وهناك الحاء المفخمة والراء المفخمة والميم المفخمة والعين المفخمة كما في "حمار" "ربحان" "معروف"، و"عربي". ولا نرى سببا موضعيا أو سببا آخر سوى القول أنها ظاهرة شائعة في اللهجة ولربما هي ظاهرة بدوية كما يرى إبراهيم أنيس (28) ولكن الإشكال يكمن هنا في ملاحظة انتشارها في جميع الأوساط.

13 - أصوات اللين

الواضح أن أصوات اللين المركبة Diphthongs الموجودة في الفصحى في الكلمات « بيت" و"صوم". ويرى إبراهيم أنيس (29) أن اللفظ الثاني أي اللهجي الحالي يرجع إلى أصله الذي كان عليه خلال تطور هذه الأصوات في العربية القديمة فهناك من القبائل من حافظ على الطور الثاني وبقي على حاله وهو الموجود حاليا بيننا ومنها من ارتقى إلى الطور الثالث وهو الفصيح ويروي ابن السكيت أن هذه الأصوات اللينة كانت منتشرة. ففي إصلاحه يقول "وتقول الكوسج ولا تقل الكوسج، وتقول الجورب ولا تقل الجورب" (30).

إذن إرجاع هذه الأصوات الموجودة في اللهجة الفلسطينية إلى أصولها اللهجية القديمة أمر طبيعي.

وهناك بالطبع ظواهر صوتية ذات صبغة طبيعية ومنتشرة في لغات العالم ولا يقتصر وجودها على لغة دون أخرى كالمماثلة والإدغام وقلب الأصوات المطلق وإدخال الأصوات وفقدان الأصوات من الكلمات. ولكن لما كان محور هذه الدراسة هو الظواهر الصوتية المميزة الموجودة في اللهجة فإننا نحجم عن الخوض في هذه الظواهر الطبيعية فهي تتطلب دراسة مستقلة تشخص هذه الظواهر وتحللها على ضوء علم اللغة الحديث والفونولوجيا الحديثة على أننا يجب أن لا ننفي صبغة الطبيعة عن بعض الظواهر السابق ذكرها كما هي حالة تحول الهمزة إلى عين لقربهما من

المخارج. ولكن هذه الحالة لا تنطبق على قلب العين إلى نون فنقول بطبيعية الظاهرة عندئذ ولو أنهما مشتركان في صفة الجهر.

الخاتمة

لقد تناولت الدراسة بعض الظواهر الصوتية الموجودة في اللهجة الفلسطينية وحاولت تقديم تفسير لهذه الظواهر من خلال ردها في معظم الحالات إلى ظواهر مماثلة كانت موجودة في اللهجات العربية القديمة، فعلى المستوى الصوتي، وهو مجال الدراسة التي بين يدينا، نرى اتصالا قويا بين هذه اللهجة واللهجات القديمة وهذا يؤيد فرضية البحث من أن اللهجة ترجع في أصولها إلى اللهجات القديمة وليست هي بالضرورة متشعبة عن الفصحى. ومن ناحية أخرى فإننا نرجح أن بعض الحالات الصوتية يمكن ردها ليس فقط إلى تلك اللهجات بل إن لهذه الحالات جذورا سامية كالأرامية والاوغاريتية وخاصة الآرامية التي مكثت في أرض فلسطين ما يقرب الإثنى عشر قرنا. إلا أنه لقرب الأرامية والكنعانية والاوغاريتية والعربية من بعضها البعض عائليا فإنه لا توجد هناك أصوات غريبة أو غير سامية في فلسطين. فالذي حصل تاريخيا هو كما أشرنا له سابقا استبدال لهجة (لغة) سامية بأخرى.

أما الأمر الآخر الملاحظ وهو أن التوزيع الجغرافي للأصوات الموضوعة لا ينطبق تماما مع ما كان موزعا في اللهجات القديمة. انظر مثلا صوت الضاد الموجود في الوسط المدني أو الحضري والظاء الموجودة في الوسط القروي. أي حسب المتوقع فإن الضاد لم تستعمل من قبل الحضر بل إن قريش كانت تؤثر استعمال الظاء بدلا من الضاد. أما وجوده في البادية الفلسطينية فإنه يتلاءم مع التوزيع القديم. ومثال آخر هو توزيع صوت القاف الذي ينطق همزة في فلسطين في الوسط المدني والذي من المفروض أن يكون كافا حسب التوزيع القديم وكذلك وجود الجيم الغير معطشة يستدعي الملاحظ والتفسير والبحث عن أصل لذلك. بعبارة أخرى فإن التوزيع الحالي لسكان فلسطين يصعب مطابقته مع توزيع السكان في الجزيرة العربية قديما. فإننا نرى اختلاطا إلى حد كبير وخصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار وجود الوسط القروي الذي لم يكن مصنفا كفئة مستقلة في الزمان القديم.

وحاولت الدراسة كذلك التأكيد نظريا على أن فرضية انحدار اللهجات العربية الحديثة من فصحى ولغة أمصار ولهجات قديمة هي فرضية مقبولة إلى حد كبير ولكن تحتاج في الوقت نفسه إلى مزيد من البحث والتقصي والنقاش.

الهوامش

1 - مما يجدر ذكره هنا أن اللهجتين الأردنية والفلسطينية متشابهتان إلى حد كبير.

2 - انظر على سبيل المثال رسالة ماجستير من إعداد محمد جواد النوري بعنوان "دراسة صوتية صرفية للهجة مدينة نابلس الفلسطينية". القاهرة - جامعة القاهرة 1979.

أطروحة دكتوراه من إعداد منذر يونس بالإنجليزية من جامعة تكساس في أوستن بعنوان Problems in the Phonologs of Palestinian Arabic, 1982 وهناك إشارات إلى بعض التفصيلات الصوتية في دراسة كانتينو المتعلقة بهذه اللهجة في كتابه الذي ترجمه صالح القرمادي بعنوان "دروس في علم أصوات العربية" الصادر في عام 1966.

3 - الدباغ، بلادنا فلسطين، 15.
4 - المصدر السابق وتهذيب ابن عساكر 1/.163
5 - بلادنا فلسطين 48.
6 - المصدر السابق 611، السامرئي، فقه اللغة العربية السريانية.
7 - المصدر السابق، 53.
8 - شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة.
9 - وافي، فقه اللغة، 132.

Brockelmann C., Semitisch Sprachwissenschaft, 1916, pp. 41-44.
O' Leary D., Comparative Grammar of the Semitic Languages,1923, pp. 16-20.

10 - عبده، أبحاث في اللغة العربية 89 - 96.
11 - Ferguson, C. (1959) The Arabic Koine
12 - أنيس، في اللهجات العربية 11.
سلوم، دراسة اللهجات العربية القديمة، 15.
13 - الجمهرة 1/.273
14 - المزهر 1/.222
15 - سر الصناعة 1/214.
لسان العرب 16/.178
16 - في اللهجات العربية 123.
رمضان عبد التواب، فقه اللغة 93.
17 - العين، 31.
الخاصائص 2/.11
18 - المزهر. 1/.211
19 - المخصص 15/.360
20 - Hamad, Abdullah (1993) « the problem of IqI in Arabic: A New Look »
21 - المخصص 13/.772
22 - لسان العرب 3/.290
23 - الجندي، اللهجات العربية في الثرات، 435.
24 - المصدر السابق، 432.
25 - المصدر السابق 434.
26 - لسان العرب 13/.47
27 - التهذيب 8/.371
28 - في اللهجات العربية، 125.
29 - المصدر السابق، 143.
30 - اصلاح المنطق، 162.

المراجع العربية

ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق محمد على النجار. دار الكتب المصدر، 1954.

سر صناعة الإعراب: تحقيق مصطفى السقاء وآخرين القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، 1954.

- ابن دريد، جمهرة اللغة. حيدر آباه الدكن 1344.
- ابن السكيت، إصلاح المنطق. تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون: القاهرة 1956.
- ابن عساكر، تهذيب تاريخ مدينة دمشق.هدبه عبدالقادر بدران: دمشق، 1929.
- ابن سيده، المخصص. بولاق 1316 - 1321هـ.
- ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب. بيروت: داربيروت، 1955.
- الأزهري، تهذيب اللغة. تحقيقطائفة من العلماء القاهرة 1964 - 1967.
- أنيس، إبراهيم. في اللهجات العربية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1973.
- الجندي، أحمد. اللهجات العربية في التراث. ليبيا: الدارالعربية للكتاب، 1978.
- الدباغ، مصطفى. بلادنا فلسطين. بيروت: منشورات دار الطليعة. 1973.
- السامرائي، لإبراهيم. فقه اللغة المقارن. بيروت: دار العلم للمريين ، 1983.

دراسات في اللغتين السريانية. عمان: مكتبة المحتسب، 1985.

- سلوم، داود. دراسة اللهجات العربية القديمة. بيروت: عالم الكتب، 1973.
- السيوطي، جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو. حيدر أباه الدكن: دائرة المعارف العثمانية،1359هـ.

المزهر في علوم اللغة. تحقيق محمد أبو الفضل وآخرين. القاهرة: 1958.

- شير، السيد. كتاب الآلفاظ الفارسية المعربة. بيروت: الكطبعة الكاتوليكية، 1987.
- عبد التواب، رمضان. التطور اللغوي. القاهرة: مكتبة الخاتجي، 1981.
- عبده، داود. أبحاث في اللغة العربية. بيروت: مكتبة لبنان، 1973.
- الفراهيدي، الخليل ابن أحمد. العين. تحقيق عبدالله درويش. بغداد: مطبعة العاني 1965.
- كانتينو،جان. دروس في علم أصوات العربية.ترجمة صالح القرمادي، تونس: مطبعة الجامعة التونسية، 1966.
- النوري، محمد. " دراسة صوتية صرفية للهجة مدنية نابلس الفلسطينية ". رسالة ماجستير غير مطبوعة. القاهرة - جامعة القاهرة، 1979.
- وافي، علي. فقه اللغة. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1973.

المراجع الأجنبية

- Brockelmann, C. (1916) Semitishe Sprachwissenchaft. Berlin-Leipsig.
- Ferguson, C. (1959) « The Arabic Koine » Language 35: 616-630.
- Hamad, Abdullah (1993) «The problem of 1q1 in Arabic: A New Look." Abhath Al-Yarmouk », 11: 79-98. Irbid: Al-yarmouk University Press
- O'Leary, D. (1923) Comparative Grammar of the Semitic Languages, London.
- Younes, Munther (1982) « Problem in the phonology of Palestinian Arabic.Unpublished Doctorat Dissertation. Austin: The University of Texas.